# التّعدد اللّغوي والتّنوّع الثّقافي في الجزائر بين اللّغات الرّسمية واللّهجات المحلية
## الممارسات اللّغوية لمنطقة بوسمغون أنموجا
## Multilingualism and cultural diversity in Algeria
## between official languages and local dialects
## Language practices of Boussemghoun region as a model

د. محمد لعمري ۞

تاريخ الاستلام: 2021.04.13 تاريخ القبـول: 2021.07.02

**ملخّص:** يهدف هذا المقال إلى تسليط الضّوء على واقع التّعدد اللّغوي في الجزائر للّغات الرّسمية واللّهجات العامية في ظل التّنوّع الثّقافي الذي يزخر به الوطن، ودراسة الآثار المترتبة عن ذلك والجهود المبذولة في التّخطيط النّاجع لمعالجة الظّاهرة، وكيفية ضبطها وجعلها عامل إثراء وتكامل، والبحث في منافع الثّنائية اللّغوية وتأثيراتها من خلال رصد بعض الممارسات اللّغوية لسكان منطقة بوسمغون بولاية البيض كأنموذج لدراسة التّنوّعات اللّغوية واللّهجية والثّقافية الموجودة وعلاقتها بالتّنقلات السّكانية من المناطق المجاورة ومظاهر تعايش اللّغة العربية الفصحى والمازيغية بكيفية تكاملية مع اللّهجات المحلية. يوصلنا البحث إلى نتائج منها أنّ لهجة سكان بوسمغون تحمل في طياتها خليطا من التّعبيرات والتّراكيب العربية والمازيغية (الشلحية) والعامّية والفرنسية.

**كلمات مفتاحية:** التّعدد اللّغوي؛ التّنوّع الثّقافي؛ اللّغة الرسمية؛ اللّهجة.

**Abstract :** This article aims to highlight the reality of multilingualism in Algeria, official languages, and colloquial dialects in light of the country's cultural diversity, as well as to investigate the implications and the efforts of effective linguistic planning to address the phenomenon. The study also dealt with how to adjust the phenomenon and make it an enrichment and integration factor by monitoring some language practices of Boussemghoun region citizens in the province of Bayadh as a model for studying linguistic, dialectic, and cultural diversities in linguistic practices and their relationship to population movements. This study reached several conclusions, most notably the coexistence of Modern Standard Arabic and Tamazight in a way that is integrated with local dialects in Algeria in general and the Boussemghoun region in particular. It also concluded that language practices of the People of Boussemghoun tolerated a combination of Arabic, Shilha, colloquial and French compositions in their linguistic performance.

**Keywords:** Multilingualism, cultural diversity, Official language, Dialect, Boussemghoun.

۞ - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة، الجزائر.
البريد الإلكتروني: mohammed.lamri@gmail.com (المؤلّف المرسل)

**مقدّمة:** اللّغة حجر الزّاوية لأي نمو ثقافي في كلّ المجالات وعلى جميع الأصعدة، فبقدر ثراء اللّغة يمكن الحكم على درجة تحضر المجتمع، فاللّغة وعاء الفكر وأداة العلم في متباين صوره، ووسيلة لبناء شخصية الفرد وانصهاره في الجماعة بغية تحقيق الوحدة الوطنية، واللّغة تعبّر عن التغيرات النّفسية والحضارية والثّقافية في حياة الشعوب، فتعكس لا محالة ثقافتها وفكرها وانتماءها، فتكون بمثابة صندوق تخزين لموروثاتها وقيمها الاجتماعية والثّقافية والوطنية.

تتأثر اللّغة أيما تأثر بثقافات الأمم، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ونظرتها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النّواحي يتردد صداه في أداة التعبير، ولذلك تعد اللّغات أصدق سجل لتاريخ الشّعوب بالوقوف على المراحل التي اجتازتها اللّغة، وفي ضوء خصائص كل مرحلة يمكن استخلاص الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم.[1]

وبقدر ما تتنوع وتتعايش الثّقافات تتنوع وتتعايش اللّغات، وهنا تُطرح إشكالية التّعدد اللّغوي، فما هو التّعدد اللّغوي؟ وماهي أسبابه؟ وماهي نتائجه؟ وكيف يتأثر بالتّنوّع الثّقافي؟ وما هي الآثار المترتبة عنه على الصعيد الاجتماعي؟ وكيف تكون الجهود المبذولة في التخطيط لضبطه وجعله عامل إثراء وتكامل؟

تتنوع الممارسات اللّغوية في الجزائر بالتّنوّع الثّقافي الذي يميز المجتمع، فتتعدد اللّهجات في اللغتين الرّسميتين فتأتي الدّراسات اللّغوية لتوضح معالم هذا التّعدد وفق منهج وصفي تاريخي يصف الأداءات اللّغوية وتاريخها.

**2. التّعدد اللّساني والتّنوّع الثّقافي:** إنّ للتّعدد اللّغوي والتّنوع الثّقافي بيئة خاصّة تحتفي بالتّنوّع تجعلهما من أسس العيش المشترك، دون أن ينفي ذلك إجرائية وأهمية التّدبير اللّغوي في إحداث التّنظيم الإيجابي والفعّال للواقع اللّغوي داخل مجتمع معين بغرض إيجاد وسائط للتّواصل والتّعايش بين اللّغات واللّهجات، وكذلك بهدف التّصريف الإيجابي لصراع القيم والمرجعيات بوصفه حالة طبيعية يفرضها منطق العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، ليتم تحويلها إلى حالات إغناء وإثراء للمنظومات القيمية والمرجعيات على مختلف تمظهراتها وتجلياتها عوض جعلها سببا للإقصاء والعنف وكذا توتر العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.[2] كما تسهم ثقافة كل جماعة بشرية بشكل فعّال في تشكيل أنظمة اللّغة والدّين والفن والمأكل والملبس والمسكن وغيرها في الحفاظ على علاقة اللّغة الوطنية باللّغات الأجنبية واللّهجات المحلية داخل المجتمع الواحد، وهنا يبرز دور اللّغة في حماية الموروث الثّقافي المتعدد للوطن الواحد.

يرى فرجسون(Fergusson) أنّ التّعدد اللّغوي تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة: التّنوّع الرفيع (variété haute ) أو ( high variety )، أما الثّاني فيسمّيه: بالتّنوّع الوضيع (low variety ) أو( basse variété ) ، فقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النّظر في بعض

الأوضاع اللّغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدّارجة مع الفصحى، واليونان حيث تتعايش اللّغة الإغريقية العامية ( dematiki ) والإغريقية الصّافية.[3]

التّعدد اللّساني (Le multilinguistique) هو ظاهرة لسانية شبه عامة تظهر في المجتمعات أثناء الأداء الكلامي عند استعمال مجموعة الألسن المتباينة أو المتقاربة في مجتمع واحد، كأن " يستعمل المجتمع لغتين في وقت واحد بحكم الاستعمار أو الممارسة العفوية للغة من اللّغات الى جانب اللّغة الوطنية"،[4] ومنه فإنّ التّعدد اللّغوي هو التّعرف على أنظمة لغوية متعددة قد لا تكون بالمستوى نفسه، ولا القيمة نفسها، ولا درجة الإتقان نفسها... ولكنّها القدرة على التّواصل، والتّحاور، والفهم، والقراءة، والكتابة... ويعرف التّعدد اللّغوي على أنّه استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة على التّواصل بأكثر من لغة سواء كانت تتعلق بالفرد أم المجتمع الذي يتكلم أكثر من لغتين.

يعرّف الباحث المغربي محمد الأوراغي التّعدد اللّغوي فيقول: «التّعدد اللّغوي مقابله (Multilinguisme) وهو تصدق على الوضعية اللّسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية... »[5]

تمتاز الثقافات بالتّنوّع والاختلاف بين المجتمعات وحتى داخل المجتمع الواحد، سواء كان ذلك من ناحية الأفكار والمعتقدات ووسائل المعيشة والنّظم السّياسية والاقتصادية وغيرها وهذا إنما يدل على اختلاف عناصر الثّقافة وتغيّر معالمها، وقابليتها للانتقال بين الأفراد والشّعوب، وهذا ما يجعلها قابلة للتغيير والتّنوّع. وعليه فالحكمة من التّنوّع في الثّقافات بين الشّعوب هي تبادل هذه الثقافات، فالتّنوّع الثّقافي كمفهوم يشير إلى اتسام الثّقافة البشرية بسمة التّنوّع والاختلاف لذلك يسعى كل مجتمع للحفاظ على هويته وما يميزه ويعبر عن خصوصيته واستقلاله عن باقي الثقافات الأخرى ويتواصل ثقافيا مع المجتمعات الأخرى.

يشير مفهوم التّنوّع الثّقافي إلى اتسام الثقافة البشرية بسمة التّنوّع و الاختلاف الذي يتمثّل في المعتقدات وقواعد السّلوك و اللّغة و الدّين و القانون و الفنون و التّقنية و العادات و التّقاليد و الأعراف و النّظم السّياسية والاقتصادية، وقد حظي هذا المفهوم بتعاريف كثيرة من قبل عدة فلاسفة،[6] فقد عرفه روزينير ليدن ( Rosener Liden): بأنّه ما يميز مجموعة أفراد عن غيرها اعتبارا لجملة من الأبعاد الأولية و الثّانوية و التي لها تأثير مباشر على هويته مثل : النّوع الاجتماعي، العرق، القدرات العقلية و الجسدية، التوجّه الجنسي، أما الأبعاد الثّانوية فتشمل الخلفية التّعليمية، الموقع الجغرافي، الدّين، اللّغة و الخبرات العملية و التنظيمية.[7]

**3. التّعدد اللّساني والتّنوّع الثّقافي في ضوء اللّغة الرّسمية واللّهجة المحلية:** تكتسي اللّغة طابعا مميّزا في نظر المجتمع فهي وسيلة للحفاظ على الهوية وضمان لترابطها وتماسكها فهي أساس كل نهضة وتطور مستقبلي، واللّغة الرّسمية للدّولة هي اللّغة التي خط بها دستور تلك الدّولة وبذلك تعد لغة الإدارة و التّشاور في دولة ما، كما أنّها اللّغة التي ينطق ويتم التّعامل بها في جميع مؤسسات الدّولة وخاصة المؤسسات الحكومية منها، و هي لغة الخطابات الوطنيّة و الرئاسية، والبرلمانية ولغة المواثيق الدّولية وهي اللّغة التي يتم استخدامها لإصدار المعاملات المختلفة عن مؤسسات الدّولة الحكومية و الخاصة.

أمّا اللّهجة فيرى الدّكتور إبراهيم أنيس أنّها: «مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظّواهر اللّغوية، التي تيسّر الإتصال بين أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، ولفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقّف على قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللّهجات.[8]

إنّ اللّهجة التي يتاح لها التّغلب في أمة ما على بقية أخواتها أو على معظمها تصبح عاجلا أو آجلا لغة الدّولة، أو ما يطلق عليه اسم اللّغة القومية أو الرّسمية أو اللّغة الفصحى أو لغة الكتابة، فتعلّم وحدها في مدارس الدّولة، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات، وتُصدر بها المكاتبات الرّسمية وغيرها، وتستخدم في مختلف نواحي الخطابة، وتلقى بها الأوامر ويجري بها التّخاطب في الجيش، فقد ترتّب على تغلّب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدّولة بفرنسا؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللّغة الفرنسية، وهذا ما حدث عقب تغلّب لهجة لندن بإنكلترا ومدريد بإسبانيا واللّهجة السّكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا فقد أصبحت هذه اللّهجات لغات رسمية، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللّغات الانكليزية و الإسبانية و الألمانية و الإيطالية، وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقا خاصا تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات المحادثة، وقد لا يكون للأمة أية لغة قومية مستقلة، كما هو الشأن في النّمسا فإن لغتها هي الألمانية، وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة، كما هو شأن سويسرا، فإنّ بها ثلاث لغات رسمية هي الألمانية و الفرنسية و الإيطالية، وقد تكون اللّغات الرّسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللّغة القديمة التي تشعبت منها لهجتها، كما كان شأن اللّاتينية بفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال ورومانيا، وكما هو شأن اللّغة العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال افريقيا، وقد تكون اللّغة القومية لغة ميتة أحياها المجتمع في صورة ما وجعلها لغة تخاطب وكتابة. [9]

**4. الممارسات اللّغوية بين التّعدد اللّساني و التّنوّع الثّقافي:** يرى الدّكتور صالح بلعيد أنّ الممارسة اللّغوية هي صيغ و إبداعات ثقافية ومادية تمارس على مستوى الأفراد والمجتمعات ضمن قانون لغوي وعرف متوارث تنطوي على مفهوم المداومة وكثرة الانشغال بالشيء ويقابله في المازيغية "تلال" "تليل"، "مارس"، "تيليلث" جمع تيلال (الممارسة)... امترس الشّعراء أو الخطباء في الخصومة "مكفان" "مشفان"،

المدلول الأوّل لهذا الفعل هو "تعاطوا" وفي القبائلية بمعنى استخدم وفي الفرنسية"pratique " " وفي الإنجليزية "pratical" ولقد استخدمت الكلمة للدّلالة على النّشاط المستمر الذي توضع من خلاله مبادئ العلوم موضع التّطبيق.[10] فالممارسة اللّغوية تشير إلى مفاهيم الإنتاج اللفظي من النّطق"Enonciation " إلى الكلام "parole " أو الأداء "performance" لكنه يختلف من الوجهة النّظرية إلى التّركيز على مفهوم الممارسة، وما اللّغة سوى جزء من مجموعة من الممارسات الاجتماعية سواء كانت ممارسة إنتاج أم تحويل أم إعادة إنتاج، إذ إنّ ربط الممارسة باللّغة فيه تركيز على البعد الفعلي "praxéologique" من هذا النّشاط البشري.[11]

تظل لغة الانسان في تنام وتطور مستمرين ما دام اتصاله بأفراد مجتمعه مستمرا متطورا نشطا مرنا فكلما زادت وتوثقت وتنوعت وتعددت علاقاته الاجتماعية كانت مساحة اللّغة التي يكتسبها أوسع وأكبر، بينما تضيق هذه المساحة كلما مال إلى العزلة أو قل نشاطه الاجتماعي حيث تصبح العناصر اللّغوية التي يكتسبها أقل عددا، كما تصبح خلال مراحل نموه أقل تداولا واستعمالا مما يجعلها أو يجعل طائفة منها تترسب في قاع الذّاكرة وتتراجع تدريجيا حتى تضمر وتنسى أو تكون فاعليتها ضئيلة أو قاصرة أو متعثرة. ولذلك فإن عملية الانفتاح على المجتمع وإنشاء وتوثيق العلاقات مع أفراده بمختلف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم وأعمارهم وأجناسهم تصبح ذات أثر كبير في تنمية المهارات اللّغوية وإغناء حصيلة الفرد من مفردات اللّغة وصيغها وتراكيبها وأساليبها المتنوعة.[12]

تعد الاختلافات اللّهجية شيئا طبيعيا بالنّسبة لكل الجماعات اللّغوية، ربما فيما عدا الجماعات المتناهية في الصغر، وحتى في هذه الحالة من الممكن التّعرف على بعض الخلافات الأسلوبية "idiolectic" بين المتكلمين وهذا راجع إلى الميل الطبيعي للّغة نحو البعد عن المركز، إلاّ إذا اتخذت خطوات إيجابية مضادة، واللّغة لو تركت وشأنها سوف تنقسم سواء عبر الزّمان أم المكان، والتّغير الذي يحدث عبر الزّمان يرتبط أساسا بمباحث علم اللّغة التّاريخي أمّا ذلك الذي يحدث عبر المكان فيهتم به علماء اللّغة بأنواعهم الثّلاثة، وإن عالم اللّغة الوصفي يجب أن يخضع لتحليله الخلافات اللّهجية، لتكون صورته التي يعقدها عن اللّغة صورة كاملة، أمّا عالم اللّغة التاريخي فيجب أن يأخذ في اعتباره الخلافات اللّهجية كما تتضح في الماضي، وكما تؤثر في تطور اللّغة موضوع دراسته، أما عالم اللّغة الجغرافي فيجب أن ينظر إلى هذه الخلافات في ضوء لغة اليوم، ومدى تأثيرها على صورة الكرة الأرضية. [13]

**5. التّعدد اللّساني والتّنوّع الثّقافي في الجزائر:** إنّ الشّعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة هو بمنزلة الحاجة النّفسية والاجتماعية الضّرورية التي لا غنى عنها لأي إنسان، فهذا الانتماء هو المجال العاطفي والرّمزي لنمو الذّات وإثباتها وتفتّحها، فالكائن البشري يمكن تشبيهه بشجرة ليس بمقدوره أن ينمو ويعيش حياة عادية إذا لم تكن له جذور ثقافية عميقة يتغذى منها روحيا ومعنويا، ويستمد منها معاني حاضره ومستقبله، والإحساس بالهوية الثّقافية والوعي بها لا يصطنع أو يصنع صنعا بل يوجد دائما

كالمكبوت في حالة الكمون يستيقظ ويشتد في ظروف التّحولات والانتقالات الكبرى التي تجتازها الشّعوب وتتخللها الأزمات والتصدعات الاجتماعية، والنكسات ذلك لأن التّشبث بالهوية الثّقافية في هذه الحالة يكون بمنزلة الملجأ والملاذ الآمن.[14]

إنّ التّنوّع الجغرافي الذي تزخر به الجزائر أكسبها خصوصية وثراء، ودفع بأبنائها إلى البحث في أصولهم العرقية والثّقافية، رغبة منهم في إثبات الذّات وتأكيد الانتماء إليه، واعتزازا بمقوّماتها التي على رأسها اللّغة المشتركة بين أبناء الوطن الواحد، بيد أنّنا نلمس تنوعا لهجيا منقطع النّظير، لا يفقه تفاصيله ولا يسبر أغواره إلا من عاش في ربوعها، أو كانت له صلة وثيقة بأبنائها ومن ثمّة إمكانية تمييز لهجة عن أخرى وجهة نظيرتها ومن هنا تتجلى أهمّية اللّسان في اكتساب الفرد هويته وانتمائه.

يشير التّعدد اللّساني في الجزائر، أو ما يصطلح عليه (plurilinguisme) إلى الهوية والانتماء الحضاري والثّقافي للمجتمع الجزائري ولابد أثناء دراسته للعودة للخلفية التاريخية والجغرافية، فأمام مُعطى التاريخ، نجد أن المسألة محكومة بالتّراكمات والتّعاقبات اللّغوية، بدءا بمازيغية الأصل، مرورا بعربية الفتوحات، وصولا للفرنسية كغنيمة حرب وفي هذ الشّأن يقول حسين بن زروق: " تعاقبت على الجزائر ثمانية أجناس ودول وحضارات منذ فجر التّاريخ إلى الاستقلال حاملة معها عاداتها وتقاليدها، وخاصة لغاتها".[15] فالعلاقة بين التّعدد اللّغوي واللّسانيات الاجتماعية موصول تاريخيا وواقعيا في البحوث العالمية؛ ومنه فكل تعدد كالتّعدد اللّغوي في الجزائر أو الدّول العربية مشروط بحثه ونقده في ضوء اللّسانيات الاجتماعية، ذلك لأن آفاق الاستعمال المتعدد نابعة من طبيعة المجتمع المعني الذي تصدر عنه المواد اللّغوية المتعددة، فتكون مواد التّلقي اللّغوي المتعدد مشبعة بثقافة المصادر اللّغوية المتعددة، كخلط ما بين الجذور الفكرية للهوية العربية في اللّسان العربي و الجذور الأخرى القابعة خلف المصادر اللّغوية في اللّسان العامي واللّهجي والأجنبي مثل ما هو الحال في الجزائر اليوم.[16]

إنّ اللّغتين العربية والمازيغية كلغتين رسميتين كانتا اللّغتين الرّائدتين قبل الاستعمار بغض النّظر عن اختلاف الأداءات اللّسانية الكثيرة التي يختص بها سكان بعض المناطق دون غيرها، فللمازيغية لهجات وعاميات متنوعة كالشلحية والمازيغية المتوسطة والرّيفية، والشّاوية، والمزابية... وللعربية كذلك عاميات ولهجات حيث نجد العربية الفصحى والوسيطة والدّارجة العامية ولعل توزعها لم يكن مفروضا وفق سياسة لغوية مدروسة أو مفروضة بقدر ما كان توزعها تلقائيا، وكان التّفاعل بينها كبيرا فلم يكن هناك صراع بينها، إلى أن شهد الواقع اللّغوي في الجزائر تغييرا طارئا أحدث الفرق بفرض الاستعمار لغته التي هيمنت على المشهد اللّغوي على حساب العربية في تلك الفترة ولازالت مؤثّرة في اللّسان الجزائري حتى الآن، فكثيرا ما نصادف في حديث أحد السّكان المحليين شيئا من هذا التّعدد والتّنوّع اللّساني واللّهجي، فنجد أحيانا سياقات دارجة ومفرنسة وأمازيغية وفصحى، تفرضها طبيعة الشّخص المتكلم. لذا يعد السّعي إلى تدبير وتوجيه التّعدد اللّغوي وفق سياسة لغوية محددة الأهداف أمرا ضروريا ليكون هذا

التّعدد عامل ثراء وعنصرا مسهما في دفع عجلة التّنمية وتحقيق الوحدة الوطنية ومصدرا للتقدم والغنى المجتمعي في ظل التّنوّع الثّقافي الذي تمتاز به الجزائر بسبب تعاقب الحضارات عليها، في مختلف الحقب الزمنية كالحضارة الفينيقية، والرومانية، والوندالية، والعثمانية...

إن شساعة القطر الجزائري مكنته من خلق فسيفساء متنوعة من الأنماط الثّقافية انطلاقا من التّنوّع في العادات والتّقاليد والمذاهب الدّينية، والألبسة التقليدية، والطابع الموسيقي، والصناعات التقليدية وصولا إلى التّعدد اللّغوي واللهجي. إذ ساهم هذا الثراء والتّنوّع الثّقافي في الاطلاع على ثقافات المجتمعات الأخرى والانفتاح الثّقافي معها، والتّعايش معها سلميا كما أسهم أيضا في تشكّل معالم لهجات عديدة، من اليسير ملاحظة الفوارق بينها كلهجة سكان العاصمة وقسنطينة، وتلمسان، ووهران وبشار والنعامة وغيرها.

إنّ الواقع اللّغوي الجزائري المتراوح بين فصحى وعامية وحتى إن صح هذا التوصيف للحالة اللّسانية الجزائرية فيما يلاحظ من خلال الإنتاج الكلامي والتّداول الفعلي هو تجاوز المتكلم لهذه الازدواجية اللّغوية، أي ليس هناك استعمال لهجي صرف ونظير له فصيح خالص، إذ يكشف التّداول والتّواصل الحقيقي سطحية النّظرة التقسيمية (عامي- فصيح)، وعموميتها؛ ذلك أن هناك تداخلات في استعمال المستويين اللّغويين شفاها، بل وحتى من الناحية التحريرية، وغني عن البيان التّذكير في سياق الحديث عن تعالق المستويين الفصيح والعامي أنه كثيرا ما حفلت الآداب الشّعبية، والمقامات، والموشحات بمواد لسانية مستمدة من التّعابير المحكية.

إن الممارسة اللّغوية للجزائريين، مثقفين وغير مثقفين تعكس بصدق التداخلات المعقدة في الإنتاج الكلامي وفي لّغة التّواصل اليومي، ولقد حللت خولة الإبراهيمي طائفة من التّفاعالات، النّاجمة عن تداخل توظيف مستويات اللّغة لدى الجزائريين، مبينة مما يؤول إليه هذا التوظيف، فيما يشبه نوعا من الاسترسال(Continuum) الذي ينشأ من باب التّنقل من مستوى لغوي لمستوى آخر.[17] ولا ترى حرجا في وصف الوضع اللّغوي في الجزائر بالتّعدد بل ترى أنه علينا أن نعرف كيف نتعامل مع هذا الواقع المتعدد والاعتراف به، وتذهب إلى أن إشكالية اللّغة إشكالية ثقافية وليست مشكلة عرق أو جنس وفي حديثها عن مسببات هذه المسألة ترى أن المشهد اللّغوي في الجزائر نتاج حراك تاريخي شهدته منطقة المغرب العربي عموما، فلقد توافدت شعوب وأقوام وأعراق على المنطقة تركت كلها بصماتها في الثّقافة بما فيها اللّغة. وبعد أن عادت بالمسألة إلى جذورها وأسبابها لمحت إلى تدخل المتكلمين في إحداث المشاكل المتصلة بهذه المسألة عندما قالت:" العربية والمازيغية عرفتا بتعايشهما لأكثر من عشرة قرون أما المسألة اللّغوية بالمفهوم الحديث فلم تظهر إلاّ مع الجزائر المعاصرة وظهر معها التشنج" و في جواب على سؤال طُرح عليها في أحد الحوارات دعت إلى الاعتراف بظاهرة التّعدد اللّغوي واستثمارها علميا وصرحت أن التّعددية لا تلغي الوطنية، وأنّها تعاملت علميا مع واقع لغوي في الجزائر موجود ولا يمكن

تجاهله، وحقيقة لابد من الاعتراف بها هي أنّ المجتمع الجزائري متعدد لغويا نتاج ظروف تاريخية موضوعية[18]. إذ ترى أن اللّغة نشاطٌ مؤسس اجتماعيا وهو بهذا الاعتبار ليس كيانا موحدا بل التّنوّع من طبيعته وجزء من كيانه، وينظم هذا التّنوّع في المجتمع على محورين: الأوّل أفقي محور الزّمان والمكان حيث أن مختلف لغات العالم تعرف التّنوّع اللّهجي الذي تتداخل فيه العوامل الاجتماعية بالتّاريخية والجغرافية، ولا ينحصر هذا الجانب في الجانب الصّوتي فقط بل يشمل مستويات اللّغة الأخرى، أمّا المحور الثّاني عمودي محور التّنوّع الاجتماعي يساير انتظام المجتمعات في مستويات وطبقات اجتماعية.[19]

إنّ دراسة اللّهجات ممكن أن تتوقف عند منطقة معينة بغية رصد بعض الظّواهر الصّوتية أو الصّرفية أو التركيبية أو دلالة المفردات المختلفة والصّيغ المختلفة، وليس بالضّرورة أن يكون الاختلاف كبيرا بينها بل يكفي أن يكون في النّطق كمد الحركات في كلمة معينة أو التّرقيق أو التّفخيم أو اختلاف في الدّلالة، لذا من الضّروري أن يكون الباحث على دراية تامّة بكل خصائص لغة الميدان، وتحديد المصطلحات والمفاهيم الخاصّة بالبحث لذا كان من الضروري التّعرف على منطقة بوسمغون تاريخيا، واجتماعيا، ثقافيا في بحثنا هذا قبل دراسة الوضع اللّساني بها إضافة إلى الإلمام بأدوات البحث اللّازمة، والمنهج المناسب، ومجتمع الدّراسة المتنوع المتمثل في العينة...

**6. الممارسات اللّغوية في ظل التّنوّع الثّقافي في منطقة بوسمغون:** تقع بلدية بوسمغون في الجنوب الغربي للجزائر وبالضّبط في ولاية البيض، حيث تبعد عن مقر الولاية بـ 160كلم، يحدها من الشّمال بلدية الشّلالة، ومن الجنوب بلدية البنود، ومن الشرق الأبيض سيد الشّيخ ومن الغرب بلدية عسلة، تقع بوسمغون بين خطي عرض 32° و 33° درجة قريب من خط غرينتش، وترتفع على مستوى سطح البحر بـ 1149م، وتقع بالتّحديد بين سلسلتين جبليتين هما "تمدة" شرقا ويبلغ علوها 1989م و"تانوت" (ومعناها في المازيغية البئر الصغيرة) غربا ويبلغ علوّها 1932م، وتبلغ مساحة بوسمغون 586.1كم$^2$ و يبلغ عدد سكانها حوالى 4500 نسمة.[20] يتكون المجتمع السّمغوني من عنصرين عرقيين، الأول أمازيغي وهو الغالب، والثّاني عربي ينتمي إلى القبائل العربية التي كانت سابقًا ترتحل في البوادي، وفي السّنوات الأخيرة انتقلت للاستقرار في بوسمغون والبلديات المجاورة لها. وتؤكد الرّوايات الشفوية المتداولة عند السّكان أنّ المنطقة كانت تدعى "بوادي الأصنام" ثم "وادي الصّفاح" نسبة إلى الأحجار المصفحة الموجودة بالوادي. وكانت بالمنطقة صراعات قائمة بين أهل تلك المنطقة بسبب الحدود الأرضية و مياه السّقي، وعندما حل الولي الصّالح "سيدي بوسمغون" بالمنطقة أقام فيها وأخذ في حل تلك النّزاعات، وتؤكد الرّوايات الشّفوية أنّه من أصل مغربي وبالضّبط من "السّاقية الحمراء"، حيث كان متجها لأداء فريضة الحج ففضل البقاء، ونال شهرة بين السّكان بما امتاز به من خصال وفضائل، فنزل عند قبيلة "آت نقيت"، وهكذا لم يتم طريقه إلى الحجاز، ومكث لحل وفك النّزاعات وبفضل حنكته استطاع تحقيق ما بقي من أجله، ونظرا لأعماله الجليلة أصبحت المنطقة تسمى باسمه إلى يومنا هذا.

ينتمي أغلب السّكان في بوسمغون إلى العنصر الأمازيغي، يتكلمون المازيغية والتي استطاعوا المحافظة عليها عكس البلديات المجاورة مثل الشلالة، عسلة، مغرار، تيوت وسفيسيفة، أين اختفت الأمازيغية فيها ولم يَعُدْ يتحدث بها إلا كبار السّن بسبب التأثير العربي القوي فيها.

يلاحظ ريني باسي"Réné Basset" في كتاباته التي تحدّث فيها عن اللّهجات المازيغية والمنشورة في الجريدة الأسيوية عن اللّهجات المستعملة بأنّ السّكان في المناطق الممتدة من "مشرية" إلى "بني عباس" (تيوت الصفيصفة، بوسمغون، مغرار، الشلالة، عسلة وإيش وفجيج، متشابهة تمام التشابه وأن المنطقة الممتدة ما بين عمالة وهران إلى حدود تافيلالت تتحدث بلغة بربرية واحدة.[21] ولا زالت هذه اللّهجة هي السائدة دون غيرها فلم تستطع القبائل العربية التي مرَّت بالمنطقة أو استوطنت بعض أطرافها التأثير فيها، بل على العكس من ذلك فقد تبربرت عناصر بني جابر ونفس الشّيء بالنّسبة لبعض بقايا بني عامر بن زغبة.[22] ويتحدث سكان بوسمغون بما يطلق عليه محليًا "شلحة" أو "تشلحيت.[23]

إنّ المجتمع في منطقة بوسمغون يتميز بتنوع ثقافي و نظام اجتماعي ناتج عن تلك الرّوابط العائلية التي تفرض نفسها كبنيات أساسية تسمح للإنسان بتحديد انتمائه، فسكان القصر ينحدرون من قبائل "زناتة" الأمازيغية التي اعتنقت الإسلام، وأخذت منه قيمه وتقاليده دون أن تتلاشى كليا، فتبقى الأسرة في قصر "بوسمغون" محافظة على الكثير من التّقاليد المرتبطة ببعض المظاهر الاجتماعية كالاحتفال بمناسبات الزواج والختان، وأيضا كل ما يتصل من العلاقات الاجتماعية والتّعاون فيما بين أفراد المجتمع، فالنّظام الاجتماعي كان يشبه في تركيبته إلى حد كبير نظام القبيلة العربية، التي تقبل إمرة شيخ، وتقبل أيضا سلطة الأب على أفراد أسرته، ومن هذا المنطلق كان تنظيم قصر بوسمغون من النّاحية الاجتماعية يجمع في الأصل إلى قبائل متقاربة في النّسب تتعايش فيه القبائل العربية الوافدة والأمازيغية.

تحمل لهجة سكان بوسمغون في طياتها خليطا من التّعبيرات والتّراكيب العربية والشلحية والعامّية والفرنسية، وفي بعض منها نلاحظ أن هذه الألفاظ التي تعد ألفاظا أمازيغية هي مفردات ذات جذور عربية غير أن اللّسان البربري أثر فيها وغيّر منها مثل : كلمة "**حانوت**" أو "**حوانيت**" وهي في المازيغية "**حانت**" **أو** "**تحونة**" وكلمة "**السّطح**" والتي تقابلها في المازيغية "**أسطوح** "، وكلمة "**الزاوية**" التي هي في المازيغية "**زاويت**"، وكلمة "**السقف**" هي "**اسقف**"، و"**السّلالم**" التي هي "**تيدوارجين**" المأخوذة من **الدّرَج أو الدْرُجْ** في العامية، ويطلق على **فناء الدَار** في العامية والشلحة **لحَوش**، **النّوافذ** يطلق عليها **طاقت** وهي مأخوذة من **الطّاقة** في العامية والفصحى **الطوب** وهي في المازيغية **أوطوب** وهو **الطوب** في الفصحى والعامية ومثال ذلك كثير... ومن هنا فإن التّنوّع اللّغوي الذي شهدته الجزائر عبر التاريخ، كان له أثر كبير على لغة أهل المنطقة حيث أدى هذا إلى بروز لهجة جديدة كانت نتاج عملية تأثر وتأثير بين اللّغات من المازيغية بلهجاتها الشلحية، والقبائلية...( التي تعد اللّغة الأصلية لسكان القصر والعربية الفصحى لغة الفتح الإسلامي وغيرها من اللّغات الضّاربة في عمق التّاريخ. إذ تستخدم عادة العائلات المنحدرة من القصر مثل

أولاد سليمان و أولاد ناسي وأولاد تبون "الشلحة" في التواصل مع بعضها البعض، بينما تتواصل القبائل العربية مثل أولاد بودخيل والمجاذبة بالعامية فيما بينها وبين القبائل الأمازيغية)، والملاحظ أن الذي يتحدث بأمازيغية المنطقة لا يمزجها بتراكيب و مصطلحات فرنسية، عكس المتحدث بالعامية التي يوظّف كلمات فرنسية ضمن حديثه، إذ لازال أمازيغ المنطقة يحافظون على لغتهم الأصلية التي تخلو في الغالب من استخدامات لغوية خارج دائرتها، وهذا ما لا نلمسه في لغة القبائل العربية في المنطقة إذ لازال ذلك المزج فيها متفشيا، وبفعل هذا الاحتكاك والتّعايش تسرّبت بعض المصطلحات المازيغية إلى ألسنة سكان المنطقة الذين ينحدرون من قبائل عربية، وإضافة لما سبق رصده من تعدد لساني في المنطقة بين المتحدثين بالعامية والمتحدثين بالمازيغية إلى أن اللّغة العربية هي اللّغة المستعملة بشكل أكبر في الوسط المدرسي وفي المعاملات الرّسمية والإدارية كلغة رسمية تليها اللّغة المازيغية.

**7. خاتمة:** إنّ التّعدد اللّغوي والتّنوّع الثّقافي شيئان متلازمان يتجلى ذلك في هذه الدّراسة من خلال الإشارة إلى اختلاف وتنوع الأداءات والممارسات في لغات ولهجات الوطن بتنوعاته الثقافية، وكذلك في ربط تلك اللّهجات بالعربية الفصحى والمازيغية كلغتين رسميتين، والدّارس لهذا الموضوع والمتعمق فيه لاحقا لاشك أنّه يلمس التّغيرات التي طرأت على الاستخدامات اللّغوية في مختلف المستويات اللّسانية الصّوتية و الصّرفية و النّحوية والدّلالية، ومدى تأثير حركة تنقلات السّكان -وهذا ما وجدناه في إقليم منطقة بوسمغون- على اللّغة إذ يمكنه تتبع حركة المجتمع من خلال المظاهر الثّقافية السّائدة فيه ومحاولة ربطها بما يشابهها في المجتمعات الأخرى (مع دراسة عوامل التّأثر والتأثير)، واستنتاج قوانين التّطور اللّغوي المحلي وصياغتها في نماذج عامّة قابلة للتّعميم يستفاد منها في الحالات و الظواهر المماثلة على المستوى الوطني بجمع كل التّنوّعات الأدائية المنطوقة في مختلف المناطق، وتصنيفها بطريقة موضوعية، بعد تتبع أصولها التّاريخية من منشئها الأول إلى عصرنا هذا كون التّركيبة السّكانية للجزائر تفرض تنوعا ثقافيا وإثنيا ولغويا كبيرا.

**8. قائمة المراجع:**


- إبراهيم أنيس: في اللّهجات العربية، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1984).
- أحمد مزيان: فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903) د.ط المغرب 1988م).
- بشير خليفي، التّعدد اللّغوي وسؤال الهوية في ظل صراع القيم والمرجعيات (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية قسم الاداب والفلسفة، جامعة الشلف العدد 18 جوان 2017م ).
- حسين بن زروق، أسماء المدن والأماكن الجزائرية وأصولها العربية، دارسة لغوية، صرفية، دلالية، مقارنة بين الفصحى والعامية (اللّغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، العدد 22).

- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، (دار القصبة، الجزائر، ط2 ،2006).
- رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللّغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية (المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، الدوحة، قطر2013م).
- صالح بلعيد، اللّغة الجامعة (مخبرالممارسات اللّغوية في الجزائر، الجزائر2015م).
- صالح بلعيد، بحث في مصطلح الممارسات اللّغوية (مجلة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد التجريبي:0، ط1 ،2010م ).
- عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، (دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، جدة 1983م).
- عبد الواحد وافي، علم اللّغة (نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع، ط9، 2004م)
- ماروي باي تر: أحمد مختار عمر، أسس علم اللّغة، (عالم الكتب القاهرة 1998م).
- محمد الأمين خلادي، التّعدد اللّغوي في الجزائر (مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير البيض، العدد 01 2015م).
- محمد الأوراغي، التّعدد اللّغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، (مطبعة النّجاح الجديدة، كليّة الآداب، الرّباط، ط1 2002م).
- محمد بسناسي، التّعبير اللّهجي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثّنائية (مجلّة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، العدد 03).
- محمد يحياتن، التّعددية اللّسانية من خلال الأبحاث اللّسانية الاجتماعية الحديثة، (مجلة اللّسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة العربية، ع11).
- مقران شطة، المسألة اللّغوية في الجزائر مواقف وأفكار خولة طالب االإبراهيمي نموذجا (مجلة المقري للدّراسات اللّغوية النّظرية والتّطبيقية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد الأول)
- يسمينة صدوقي، مظاهر و نتائج التّنوّع الثّقافي في الجزائر، (مجلة دائرة البحوث والدّراسات القانونية والسّياسية -مخبر المؤسسات الدّستورية والنّظم السّياسية، العدد الرّابع - جانفي 2018 ).
- Caleb Rosado, what Do We mean , by Managing Diversity, Work force Diversity, Hyderable India ICAFAI university ,vol 3, 1996.
- Emmanuelle cambon, Isabelle l'eglise, pratiques langagiereset registres discursifs. Langage etsociéte, maison des sciences de l'homme paris,N°:124, 2008.
- Gouvernement Général De L'Algérie ,répertoire statistique des communes de - l'Algérie, territoires du sud, décembre 1936, Ancienne Impr. Victor Heintz, 41 rue Mogador,Alger, 1937.

- Mohamed Benali, Boussemghoun: Espace confrérique et pratiques linguistiques, Dar El Gharb: Oran 2004.
- Réné Basset ,Nates De Lexicographie Berberes , Dialecte Des Kçours Oranais Et De Figuig , J. A.,Tome 6,Juillet 1885.


## 9. هوامش:

1- عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، (دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، جدة 1983م)، ص12.

2- بشير خليفي، التّعدد اللّغوي وسؤال الهوية في ظل صراع القيم والمرجعيات (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية قسم الاداب والفلسفة، جامعة الشلف العدد 18 جوان 2017م )، ص75.

3- محمد يحياتن، التّعددية اللّسانية من خلال الأبحاث اللّسانية الاجتماعية الحديثة، (مجلة اللّسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة العربية، ع11)، ص73.

4- صالح بلعيد، اللّغة الجامعة (مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، الجزائر2015م)، ص8.

5- محمد الأوراغي، التّعدد اللّغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي (مطبعة النّجاح الجديدة، كليّة الآداب، الرّباط، ط1 2002م)، ص11.

6- يسمينة صدوقي، مظاهرو نتائج التنوع الثقافي في الجزائر، (مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية -مخبر المؤسسات الدستورية والنظم السياسية، العدد الرابع، جانفي 2018م(، ص185.

7- See: Caleb Rosado, what Do We mean, by Managing Diversity, Work force Diversity, Hyderable India ICAFAI university, vol 3, 1996, p34-p36.

8- ابراهيم أنيس: في اللّهجات العربية، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1984)، ص16.

9- عبد الواحد وافي، علم اللّغة (نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع، ط9، 2004م)، ص184- 185.

10- صالح بلعيد، بحث في مصطلح الممارسات اللغوية (مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد التجريبي، 2010م )، ص15-16.

11- See: Emmanuelle cambon, Isabelle l'eglise, pratiques langagieres/ et registres discursifs. Langage et sociéte, maison des sciences de l'homme paris,N°:124, 2008,p20.

12- أحمد معتوق محمد، الحصيلة اللّغوية أهميتها ومصادرها وسائل تنميتها (سلسلة عالم المعرفة عدد 212، الكويت 1996م) ص72.

13- ماروي باي، أسس علم اللّغة، تر أحمد مختار عمر، (عالم الكتب القاهرة 1998 م) ص210.

14- ينظر: رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللّغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية (المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، الدوحة قطر،2013م)، ص227.

15- حسين بن زروق، أسماء المدن والأماكن الجزائرية وأصولها العربية، دارسة لغوية، صرفية، دلالية، مقارنة بين الفصحى والعامية، (اللّغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، العدد 22) ص03.

16- محمد الأمين خلادي، التّعدد اللّغوي في الجزائر، (مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير البيض، العدد 01 2015م)، ص14.

17- ينظر: محمد بسناسي، التّعبير اللّهجي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثّنائية، (مجلّة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشّلف، العدد 03)، ص26

18- مقران شطة، المسألة اللّغوية في الجزائر مواقف وأفكار خولة طالب الإبراهيمي نموذجا، (مجلة المقري للدّراسات اللّغوية النّظرية والتّطبيقية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد الأول)، ص180.

19- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، (دار القصبة، الجزائر، ط2 ،2006)، ص173.

20- See: Gouvernement Général De L'Algérie,répertoire statistique des communes de l'Algérie, territoires du sud, décembre 1936, Ancienne Impr. Victor Heintz, 41 rue Mogador, Alger, 1937,p230,231

21- See: Réné Basset, Nates De Lexicographie Berberes, Dialecte Des Kçours Oranais Et De Figuig, J. A. Tome 6,Juillet 1885, p302.

22- أحمد مزيان: فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التّاسع عشر (مطبعة دار السّعادة، الدّار البيضاء المغرب 1988م)، ص80.

23- See: Mohamed Benali, Boussemghoun: Espace confrérique et pratiques linguistiques, Dar El Gharb Oran 2004, p16.